..ولماذا لانتظر حتى نرى؟

أنيس منصور

اختار العالم كله سياسة جديدة هى : المؤتمرات الواضحة التى تؤدى إلى نتائج غير واضحة . أو بعبارة أخرى : سياسة هزّ المواقف وليس تحريكها . .

فلأول مرة فى التاريخ نجد زعماء الغرب يجتمعون معا من أجل مناقشة هادئة لمصالحهم المشتركة . فلم يكن أحد يتصور أثناء الحرب العالمية الثانية ، أن هذه الدول الغربية المتحاربة ستصبح غنية إلى هذه الدرجة . ولم يكن أحد يتصور أيضا أن تلتقى فرنسا وألمانيا ، رغم العداء التاريخي بينهما . . ولا أحد تخيل أن تجيء أمريكا التى ما تزال قواتها فى أوروبا من ثلاثين عاما ، تطلب إلى حلفائها أن يقفوا معها فى مواجهة الخطر السوفيتى : عدوان الأمس فى أفغانستان وجنوبى شرق آسيا ، وعدوان الغد على أى موقع آخر . .

ولم تتفق الدول الصناعية الديمقراطية على أشياء كثيرة . ولكن أهم ما اتفقوا عليه هو الوقوف إلى جانب العرب أصحاب البترول ، ومئات الملايين المسلمين ضد التقدم الشيوعى . .

وفى نفس الوقت اتفق الغرب على ألا يعتمد على البترول الذى تستخدمه الدول العربية سلاحا سياسيا وتهديدا اقتصاديا . ولن يتمكن الغرب من الاستغناء عن البترول قبل نهاية هذا القرن . . وعند نهاية القرن سوف يكون دخل العرب من عائدات البترول ٤٠٠ ألف مليون دولار . .

وإذا كان الغرب قد قدم نموذجا متطورا للتضامن الأوروبى الأمريكي ، فإن هذا التضامن أفضل كثيرا من التضامن العربى . فالخلافات بين العرب أعمق من الخلافات بين الدول الأوربية . .

فقد ظهرت الخلافات بين الدول الغربية فى موقفها من ثورة إيران وغزو أفغانستان والدورة الأولمبية . والقروض الأمريكية وتسليح مصر والسعودية والأردن وإسرائيل . .

فمثلا أدانت أمريكا وكثير من دول العالم غزو السوفيت لأفغانستان . ولكن بعض الدول الغربية تحفظت فى ذلك تماما . وكذلك بعض الدول العربية ، ورأت أمريكا أن تخوض الخيطات وحدها . وفى نفس الوقت تهدد بالسلاح دون أن تستخدمه . .

وأثناء انعقاد قمة البندقية أعلن السوفيت سحب بعض قواتهم « التى لا ضرورة لها » — كما تقول وكالة تاس — إلى مواقع أخرى فى داخل الاتحاد السوفيتى . ولم تصدق الدول الغربية هذا القرار ، لأن سحب القوات لا يدل على الانسحاب الكامل . إنما هو فقط تحريك للقوات إلى أماكن أخرى على حدود أفغانستان . . تماما كما حدث فى أكتوبر من العام الماضى عندما أعلن السوفيت سحب عشرين ألفا من الجنود وألف دبابة من ألمانيا الشرقية . فلم يكن ذلك انسحابا ، انما كان « إعادة لتوزيع القوات السوفيتية » . لأن هذه القوات لم تعد إلى روسيا ، إنما عسكرت فى دول أخرى من أوروبا الشرقية ! . .

ويبدو أن ما يفعله السوفيت عسكريا هو بالضبط ما يفعله الغرب سياسيا . إنه فقط هز للموقف وليس تحريكا له ! لأن القوات السوفيتية تستدير فقط وهى فى مواقعها . ولم تبرح أفغانستان أو ألمانيا الشرقية . .

ومن المتوقع بعد نهاية الدورة الأولمبية أن تقوم القوات السوفيتية بسحق كل مقاومة فى أفغانستان وإنهاء الوضع المهين للسوفيت وضمها نهائيا إلى ما وراء الستار الحديدى . . وفى ذلك الوقت تكون أمريكا غارقة فى الانتخابات وعاجزة عن اتخاذ أى قرار حاسم داخليا أو خارجيا ! . .

ولا تزال المؤتمرات الأوروبية مستمرة . وسوف يكون موضوع الشرق الأوسط من أهم القضايا . وإن لم يكن أصعبها . وذلك بسبب تعدد الأطراف وكثرة التعقيدات والخلافات الأوروبية والأمريكية بينها . وفى

الملك خالد

الملك حسين

داخل المعسكر العربى – إن كان للعرب معسكر واحد حقا ! . .

أما الخلافات العربية المتزايدة فهى وحدها التى تبدو بأن أحداثا عنيفة سوف تقع فى الشرق الأوسط . ولم يشأ أن يحدد الرئيس السادات فى حديثه إلى التليفزيون الإسرائيلى أين يتوقع هذا التغير الجذرى فى الشرق العربى . .

ومن الكلام المعاد أن نطلب إلى أنفسنا استعراض ما يحدث ، داخليا ، فى كل البلاد العربية . أو نتساءل من الذى يحمى النظام السورى مثلا ؟ . .

الجواب : السوفيت طبعا . وسوف يذهب السوفيت فى حماية سوريا إلى حد إدخال الفرق والفزع على إسرائيل والأردن أيضا – والأمريكان طبعا .

وعلى الرغم من التهديدات المستمرة بالقتل للخبراء السوفيت فى سوريا ، فإن السوفيت سوف يتزايدون عددا وعُدّة فى سوريا . وقد أعلنت سوريا أن هذا هو الضمان الوحيد لها ضد إسرائيل . لماذا ؟ يقول السيد عبد الحليم خدام : لأن سوريا وحدها هى القادرة على وقف أى عدوان إسرائيلى وأية محاولة لابتلاع الضفة الغربية والأردن وجنوب لبنان (؟ !) . .

أما الأردن فلا يزال الملك حسين على صلة متينة بإسرائيل وبالمقاومة الفلسطينية وأمريكا . ويرى الملك حسين أنه قادر على جمع الأطراف المتناقرة . وأن هذه القدرة هى السبب الحقيقى لبقائه حتى الآن على العرش الهاشمى . فهو يؤكد للمنظمات الفلسطينية أنه وحده القادر لاستعادة الضفة الغربية . وفى نفس الوقت لن يسمح للفلسطينيين أن يكون لهم نشاط معاد لإسرائيل من الأرض الأردنية ، لأن هذا يجعل موقفه صعبا . ولم ولن ينسى الفلسطينيون ما فعله بهم فى « أيلول الأسود » . والفلسطينيون هم ٧٥٪ من سكان الأردن . .

والملك حسين على صلة قوية بإسرائيل . ولم يعد ذلك سرا . وهو يتفق مع أكثر الأحزاب الإسرائيلية فى أن تنضم إليه الضفة الغربية اتحادا وجسرا . ولن يكون لها وجود مستقل . أى لا دولة مستقلة للشعب الفلسطينى . .

فاروق قدومى

هيرمان إيلتس

وفى العام الماضى أعلن الرئيس كارتر أنه من خلال أحاديثه مع كل الزعماء العرب ، لم يجد واحدا يؤيد قيام دولة فلسطينية مستقلة ! . .

قالها الرئيس كارتر . وانتظر أن يكذبه أحد من الزعماء العرب . ولكن أحدا لم يفتح فمه . .

مصر فقط هى التى تؤيد قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة . وهو ما اعترف به فى الأسبوع الماضى السيد فاروق قدومى عندما أعلن : أن مصر وحدها هى التى ترى ذلك . ولا تخشى من قيام الدولة الفلسطينية ، بينما الأردن وسوريا وإسرائيل ضد الدولة الفلسطينية ! . .

وكان من عادة الملك حسين أن يسافر إلى أمريكا كل سنة . ولكنه بعد اتفاقية كامب دافيد صار صعبا عليه ذلك . فهو قد طلب مقابلة الرئيس كارتر مرتين . ولكن لم يجد ترحيبا من أحد . .

ولكنه فى الأسبوع الماضى ذهب إلى واشنطون ، واستقبلوه كما لو كان ملكا حقيقيا . . وأعلن الرئيس الأمريكى قبل وصول الملك الأردنى : أننى سأفعل كل ما أستطيع لإقناعه ، وفعل كل ما يستطيع ، ولم يقتنع الملك حسين . .

مع أن الملك حسين ، صناعة أمريكية ، من عشرات السنين . وقد ادخرته أمريكا لتلعب به فى آخر الشوط . فهو وحده الذى يستطيع بالمشاركة فى المفاوضات أن يجعل قيام الدولة الفلسطينية ممكنا – ولكنه هو الآخر – لا يريد قيام الدولة . ولذلك فهو لا يستعجل المفاوضات أو نتائجها . وإسرائيل يسعدها ذلك . فهى لا تختلف معه فى الرأى ، وفى نفس الوقت تفضل أن يبقى بعيدا . .

وإن كانت منظمة د . حبش ترى أن الملك حسين هو العقبة . وأن القضاء عليه واجب ، فإذا تحقق ذلك فإن الأغلبية الفلسطينية تستطيع أن تقيم دولة جديدة على أرض الأردن التى انتطعت من أرض فلسطين ! . .

وحرصا من أمريكا على أن تظل هى مصدر التسليح الوحيد للأردن ، فسوف تبيع للملك حسين مائة دبابة طراز م – ٦٠ ثمن الواحدة ١٦ مليون دولار . لأن الملك حسين قد هدد أمريكا بشراء أسلحة من مصادر أخرى – سوفيتية مثلا ! . . .

ورغم ضيق إسرائيل بهذه الصفقة ، فإنها تجد لأمريكا عذرا فى أن تكون لها قواعد متناثرة ، لحماية السعودية ودول الخليج ضد التقدم السوفيتى المستمر نحو البلاد العربية وفى داخلها ! . .

ولم تضغط أمريكا على الملك حسين ليكون له رأى خاص فى كل القضايا العربية . فأمريكا تعرف « دور » الملك حسين . ولا تريد له هو الآخر أن يضيف تشددا جديدا إلى التشدد الإسرائيلى والضغط المصرى . فكما أن أمريكا غير قادرة على اتخاذ قرار حاسم ، فهى لا تريد أحدا أن يفعل ذلك . وبذلك يلتقى الجميع عند قرار واحد : هو قرار الانتظار حتى نرى . .

كما أن الملك خالد قد سافر إلى ألمانيا . وقد سبقت الملك السعودى شروح عديدة لموقف المملكة السعودية من مدينة القدس ، ومن الدولة الفلسطينية والسلام فى الشرق الأوسط .

وسفر الملكين السعودى والأردنى إلى أوروبا وأمريكا يلفت النظر إلى التعنت الإسرائيلى والعجز الأمريكى عن اتخاذ القرار فى سلام الشرق الأوسط .

وعند السعودية ما يضايقها من العجز الامريكى : موقف أمريكا مما حدث فى إيران وفى أفغانستان وفى اليمن الجنوبية وفى الصومال واليونيا وفيتنام وكمبوديا . ثم مطالبة السعودية بمعدات متطورة ، كطائرات ف ١٥ وتزويد هذه الطائرات المقاتلة القاذفة بالوقود الذى يجعل مدى حركتها أطول . ورغم أن قاعدة تبوك فى شمال المملكة السعودية قد أصبحت فى التكنولوجيا الحديثة ، فإن أمريكا لا تستطيع أن تجيب السعودية إلى كل ما تريد ، ففى الكونجرس اعتراضات يهودية على ذلك . .

وفى الأسبوع الماضى أعلن السفير الأمريكى السابق هرمان ايلتس . أن مصر والسعودية متفقتان سرا فى كل شىء ، ولكنهما علنا تختلفان . فلا خلاف بين القيادتين المصرية والسعودية فى جميع القضايا . ولكن فى مواجهة الميكروفونات والعدسات تظهر الخلافات . .

ومنذ أيام جاءت إلى القاهرة شخصية كبيرة ، وأكدت هذا الرأى أيضا . .

فقد التقت هذه الشخصية بعدد من المسئولين فى الرياض ، وكان الرأى واحدا : أننا لا نختلف ولم نختلف . ولكن من الذى يقضى على هذه الفرة بيننا . . إن أحدا شجاعا جريئا ، هو الذى يستطيع ذلك .

ثم إنهم فى الرياض يقولون : لننتظر حتى نرى ! . .

❑❑❑

أما الذى ينتظره الجميع – لعلهم يرون أوضح وأعمق – فهو ماذا سيحدث فى إسرائيل وماذا سيحدث فى أمريكا . . فمن يدرى ربما تغيرت حكومة السيد مناحم بيجين لأسباب داخلية أو صحية . مما يؤدى إلى انتخابات مبكرة تأتى بحكومة العمل التى هى أكثر مرونة وأقرب إلى التفاهم مع الملك حسين ؟ ! . .

فقد ضاق الشعب الإسرائيلى بتشدد السيد مناحم بيجين . حتى إن عمدة القدس السيد تيدى كوليك عندما ذهب إلى أمريكا قد اتهم رئيس الوزراء بأنه يتبع « فلسفة غير مسئولة » . وأن هذه الفلسفة هى التى تعرق مسيرة السلام .

وعندما عاد السيد كوليك إلى القدس اعتذر قائلا : لقد ارتكبت غلطة خطيرة عندما هاجمت رئيس الوزراء . .

ولم يكن اعتذاره عن الهجوم ، انما لأنه قال ذلك خارج إسرائيل . أى لا يزال هذا رأيه . وكثيرون جدا يرون ذلك . .

وينتظرون أيضا ما سوف يحدث فى انتخابات أمريكا .

هل لدى الرئيس كارتر محاولات أخرى مفاجئة لاسترداد الرأى العام الأمريكى ؟ . . هل هناك مزايدات انتخابية لصالح إسرائيل تعجل بذهاب الرئيس كارتر ومجىء الرئيس ريجان ؟ هل هناك مفاجأة سوفيتية أخرى فى داخل العالم العربى . تؤدى إلى إسقاط نظم وإقامة نظم جديدة ؟ . .

ثم إن كل هذه الاضطرابات سوف تضاعف التشدد الإسرائيلى برئاسة السيد بيجين أو برئاسة السيد بيريز . .

حتى مفاوضات الحكم الذاتى ، رغم أننا نعرف كل ما فيها من صعوبات وتعقيدات ، فإننا قد ارتضينا الاستمرار فى الحوار . لعل شيئا يحدث . . فنحن أيضا نهز المفاوضات دون أن نقدر على تحريكها . .

فنحن نفاوض وننتظر لنرى . .

ولكننا نحن المصريين لدينا أسباب أخرى . هى أننا جربنا المفاوضات الصعبة والحوار المستحيل . وأنجزنا الكثير بسبب إيماننا بجدوى الحوار . وبأنه وحده القادر على الإبداع – أى الإتيان بشىء لم يكن هناك من قبل . . مثل : السلام بين مصر واسرائيل وتطبيع العلاقات بين الحكومتين والشعبين . . وهل أن نجعل من أنفسنا قدوة لشعوب عربية أخرى . .

❑❑❑

وهناك وجوه للشبه كثيرة بين الدول الغربية . فهى تتقدم بحساب . وتتوقف بحذر . لأنها رفضت الوقوف خوفا من التجمد .

أما الدول العربية فلا هى تتوقف ولا هى تتحرك . .

فلا أحد لديه شجاعة اتخاذ القرار . .

أما الشبه المؤكد بين الدول العربية والدول الأوروبية والأمريكية فتفسره حكاية الإمبراطورة ماريه تريزه . .

فقد كان المؤرخون يضربون المثل بالامبراطورة النمساوية ماريه تريزه ، عندما راحت تبكى سنة ١٧٩٥ على بولندا ، تلك الدولة الكاثوليكية التى مزقوها بين روسيا وبروسيا والنمسا . .

ولكن رغم بكاء الامبراطورة النمساوية على ما أصاب بولندا ، فإنها لم ترد إلى بولندا ما استولت هى عليه من أرضها وخيراتها ! . .

واليوم ندرك بمنتهى الوضوح أن هذه الامبراطورة لم تكن فريدة فى التاريخ . إنما هى ما تزال حية فى البندقية وفى العواصم العربية ولكن بأسماء مختلفة ! . .

□